

الحمد لله و الصلاة والسلام على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين أمّا بعد :

فهذا ملخصي للدرس الخامس من شرح الأصول الثلاثة للشيخ مصطفى مبرم –حفظه الله –ضمن دورة معهد علوم التأصيل بشبكة إمام دار الهجرة.

❖ دليل الدعاء عبادة

- الحديث:((الدّعاء مخ العبادة)).
- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].
- ملاحظة :

((الدّعاء مخّ العبادة))

هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك ،و في سنده ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة) قاضي مصر ،وهو مختلف فيه ،فمنهم من يضعّف حديثه مطلقا، ومنهم من يصححه مطلقا ،ومنهم من يصححه إذا روى عنه العبادلة بسبب احتراق كتبه واختلاطه ،والمرجّح أنّه ضعيف مطلقا وهذا الذي كان عليه قول شيخنا مقبل عليه رحمة الله.

ولكن قد جاء الحديث عند الترمذي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال((الدّعاء هو العبادة))

ومن أهل العلم من يرى أن مخ الشيء هو حقيقته ،و أنّ قوله((الدّعاء مخ العبادة))كقوله((الدّعاء هو العبادة)).

❖وجه كون الدعاء مخّ العبادة

بيّن الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى وجه كون الدعاء مخّ العبادة فقال: ((لما فيه من الإخلاص والخضوع والضراعة والرّجاء وذلك صريح الإيمان)).

❖نوع الدعاء في قوله :((الدّعاء مخُّ العبادة))

قال:((الدّعاء مخُّ العبادة)).ففرّق بين الدعاء وبين العبادة فدلّ على أنّ الدعاء هنا هو المسألة والطلب وأنّ العبادة هي الفعل.

❖تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾ هذا شامل لدعاء المسألة ولدعاء العبادة. دعاء المسألة الذي هو الطلب ودعاء العبادة الذي هو جميع أفعال العبد. ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمّن لدعاء العبادة.

داخرين: ذليلين صاغرين خاسئين، معاملةً لهم بنقيض فعلهم فإنّهم لما استكبروا وتجبّروا على عبادة الربّ جل و علا، وتكبّروا عن دعائه وعبادته فيحشرهم الله تبارك وتعالى صمّا وعميّا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء:٩٧]

❖ دليل جمع الله فيه بين نوعي الدعاء

جمع الله بين نوعي الدعاء في مواضع من كتابه: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾. [مريم:٤٨] سمّى الدعاء عبادة. ولهذا نظائر أيضا في سورة الأحقاف وفي غيرها من السور.

❖الدّعاء حق لله جل جلاله، والدّعاء من أخص أنواع العبادات لما فيه من الرغبة والرهبة وطلب الحوائج التي لا يستغني الإنسان عنها.

❖تفسير الآية ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

الخوف لا يكون إلاّ لله لأنّه عبادة تعبّد الله جل وعلا بها عبادَه .

﴿إِنَّمَا﴾: للحصر .

﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾ أي:

- يخوّفكم أولياءَه وبهذا قرأ ابن عبّاس وابن مسعود. و هذه القراءة تظهر الضمير وأنّ المراد به الذين اجتمعوا من أجل إخافة المؤمنين والمراد: أنّه يخوّفهم شرّ أو بأس أوليائه.
- وقرأ أبيّ ابن كعب يخوّفكم بأوليائه.

❖حقيقة الخوف

الخوف: حقيقته ظنّ المضارّ الواصلة. والخوف فرض من فروض التوحيد وواجب من واجباته.

وحقيقة الخوف المحمود الذي أراده الله تبارك وتعالى من عباده ما حال بين صاحبِه وبين محارِمِ الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط كما يقول الحافظ ابن القيّم رحمه الله:(لا يدع الخوف يفضي به إلى حدٍّ يوقعه في القنوط، واليأْس من رحمة الله. فإنَّ هذا الخوف مذموم، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: حدُّ الخوف ما حجزك عن معاصي الله. فما زاد على ذلك: فهو غير محتاج إليه، وهذا الخوف الموقع في الإياس: إساءة أدب على رحمة الله تعالى، التي سبقت غضبه، وجهل بها)

والخوف عبوديّة القلب فلا يصلح إلاّ لله كالذّلّ والإنابة والمحبّة والتوكّل والرّجاء وغيرها من عبوديّات القلب كما قرّر ذلك أيضا الحافظ ابن القيّم رحمه الله، فالخوف من أجلّ أنواع العبادات وأعظمها التي تدلّ على إيمان صاحبها.

❖أنواع الخوف

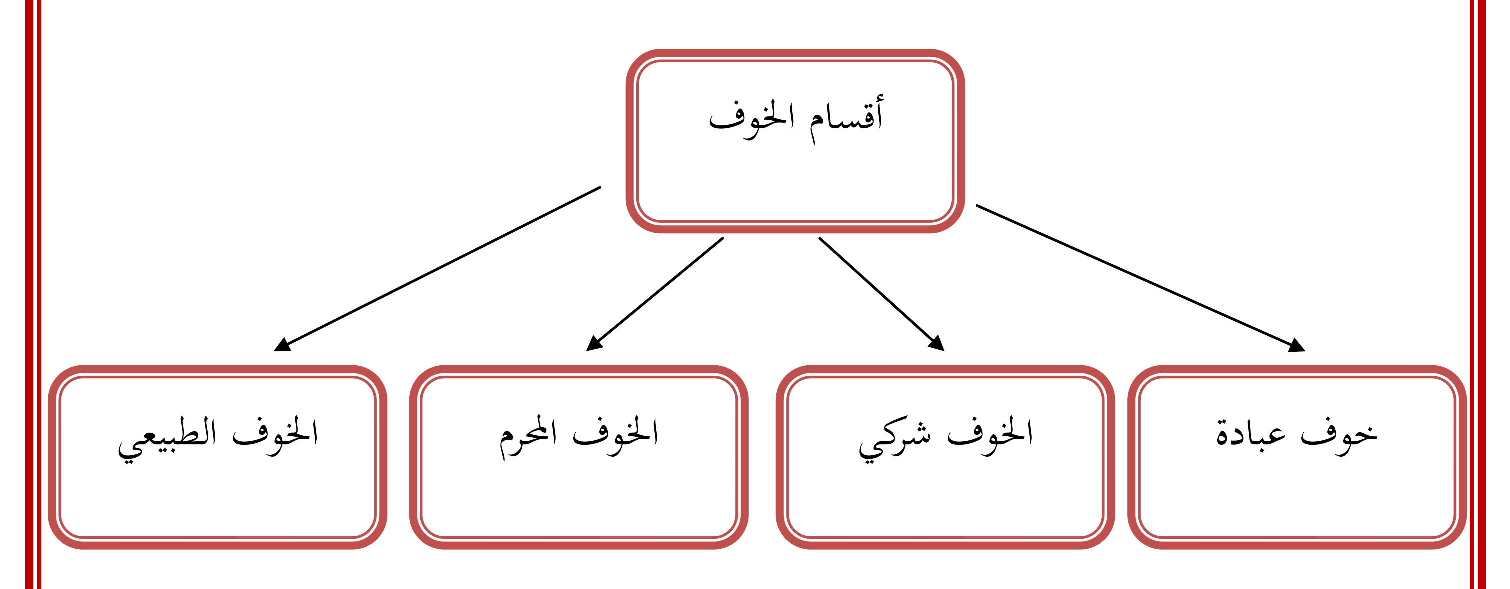
ذكر العلماء أنّ الخوف أنواع:

خوف عبادة :وهو الله الخوف من الله تبارك وتعالى وهذا النوع لا يكون إلاّ لله و صرفه لغير الله شرك به وكفر به. فإذا خاف العبدُ غيرَ الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله فهو مشرك كافر بهذا الأمر .

خوف شرك: وهو الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

الخوف الطبيعي: خوف الإنسان من الأشياء الظاهرة التي تقدر على الإخافة أو الإضرار كمن يخاف من الأسد أو النّمر أو العقرب وما أشبه ذلك..

الخوف المحرّم: يزيده بعضهم وهو أن يخاف الإنسانُ النّاسَ في ذات الله بترك الواجبات وفعل المحرّمات.



❖معنى الرجاء،الطمع

يُراد بالرّجاء: الأمل وهو ظنّ المنافع الواصلة.

قال الله تعالى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾[الشعراء:٨٢]. والطمع هنا: شدّة الرّجاء. فالعبد لا يرجو إلاّ الله، يطمع في ثواب الله ورؤيته عيانا يوم القيامة ويخشى من عقاب الله جلّ وعلا. وقد فسّر غير واحد من أئمّة السّلف اللقاء بالرّؤية.

❖دليل جمع شرطي العبادة

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

هذه الآية جمعت شرطي العبادة:

-الإخلاص لله

-والإتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وفيها قال الفضيل بن عياض:أيكم أحسن عملا أي أخلصه وأصوبه.

❖تقديم المعمول على العامل من أساليب الحصر والعرب إذا قدّمت ما في حقه التأخير فإنهم يريدون بذلك الحصر وغالب ما جاء من الأمر بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة جاء بالحصر وغالب ما جاء من النّهي عن الشرك جاء بالأساليب العامّة.

❖تفسير الآية: ﴿وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين﴾

في هذه الآية تقديم المعمول وهو الجار والمجرور (على الله) وتأخير العامل وهو (توكّلوا) لإفادة الحصر أي توكّلوا على الله لا على غيره. يعني توكّلوا على الله تعالى في حصول النصر والتمكين وهذا من تقديم ما في حقه التأخير ليُؤذن بالاختصاص وليخُصَّ المؤمن ربَّه بالتوكّل عليه.

❖حقيقة التوكل

حقيقة التوكّل هو: إظهار العجز والاعتماد على الغير والمراد: الرّبّ تبارك وتعالى.

والتوكّل كما يقرر ابن القيّم وغيره من أهل العلم يجمع أصلين: علم القلب وعمله.

- أمّا علمه فيقينُه بكفاية وكيلِه .
- وأمّا عمله فسكونه إلى وكيله وطُمأنينته به.

وقد نصّ ابن القيّم في الدارج بأنّه شرط في صحّة الإيمان.

❖تفسير الآية﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾

هذه الآية الدّليل الدّالّ على أنّ الرّغبة والرّهبة والخشوع من العبادات القلبية التي اختصّ الله تبارك وتعالى بها نفسه وأنّ صرفها لغير الله جلّ وعلا شرك به، أنزلها الله تبارك وتعالى في أنبيائه ورسله الذين ذكرهم في سورة الأنبياء، وهذا حال جميعهم. ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا﴾ أي رغبا فيما عندنا ورهبا من عذابنا .

والضمير في قوله: إنهم هذا عائد على الأنبياء المذكورين في هذه السّورة عند عامّة المفسّرين.

والرّغَب والرّهَب رجاء الرّحمة والخوف من النّار والعذاب.

❖الفرق بين الرهبة والخوف والخشية

الرّهبة والخوف والخشوع والخشية ألفاظ متقاربة وليست مترادفة، وكل واحد من هذه الألفاظ يدلّ على شيء زائد فيه.

فالخشية قدر زائد عن الخوف. ولهذا اختص الله تبارك وتعالى بها العلماء. ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[فاطر:٢٨].

وكذلك الرّهبة هي قدر زائد عن الخوف لذلك ذكرها الله جل جلاله في الأنبياء.

❖الإنابة

الإنابة :هي الرجوع. . ﴿لكلّ عبد منيب﴾[ق:٨] رجّاع.

فأصل الإنابة: محبّة القلب وخضوعه وذلّه للمحبوب

والمراد أنّ الإنابة مستلزمة للمحبّة لأنّك لا تنيب إلاّ إلى من تحبّ.

فحقيقة الإنابة: عكوف القلب على طاعة الله ،ومحبّته ،والإقبال عليه ،ومهما انصرف أرجَعَه إلى الله.

الإنابة أخصّ من التوبة ،وهي آكد من التوبة، وتدل على سرعة رجوع صاحبها ،لأنّه راجع عن حبّ ،ومعرفة بذلك المحبوب.

❖ إذا عطفت العربُ الخاصَّ على العام فإنها تريد الاهتمام به وعدم إهماله وإغفاله.

❖الاستعانة،دخول السين و التاء على الأفعال

الإستعانة هي طلب العون لأنّ العرب إذا أدخلت السِّينَ والتّاءَ على الأفعال فإنّها تريد بها الطلب. هذا في الغالب وقد يخرج عن ذلك بعض الأشياء كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وتولَّوْا واستغنى الله ﴾[التغابن:٦] لأن الله جلّ وعلا غنيّ بذاته.

وهو الغنيّ بذاته سبحانه جلّ ثناؤُه تعالى شانُه

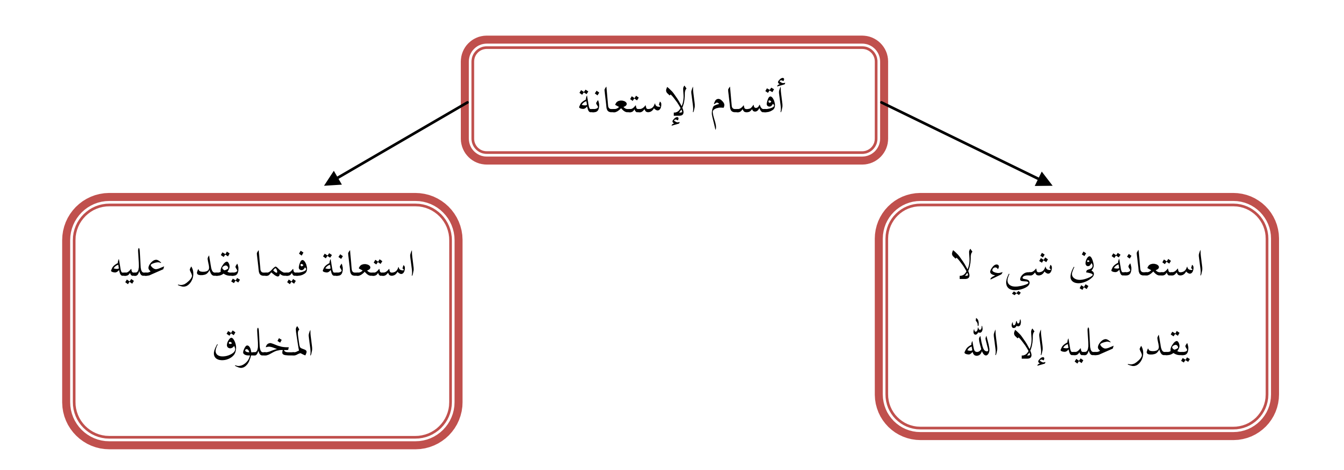
فهو الغنيّ بذاته فليس المعنى أنه يطلب الغِنى عندما قال: ﴿ وتولَّوْا واستغنى الله ﴾ تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا. وكذلك إذا قالت العرب: استحاضة فإنّ الاستحاضة لا

تطلبها المرأة ولا ترغبها ولكن هذا هو الغالب في دخول السّين والتّاء أنّها تدلّ على الطّلب بمعنى نطلب عونك نطلب إعانتك فيما لا نقدر عليه ولا نستطيعه.

❖أنواع الإستعانة

الاستعانة نوعان:

- استعانة في شيء لا يقدر عليه إلاّ الله فهذه لا تُطلب إلاّ من الله وصرفها لغير الله شرك ومن استعان بغير الله في شيء لا يقدر عليه إلاّ الله فهذا مشرك كافر.
- استعانة فيما يقدر عليه المخلوق فيما أقدره الله تبارك وتعالى عليه، فالله تبارك وتعالى قال للمؤمنين:﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ﴾[المائدة:٢] والنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام قال:{والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه}.



❖الإستعاذة

الاستعاذة: هي طلب اللّجوء ،و دخول السّين والتّاء على الأفعال تدلّ على طلب الشيء. فإنّ العبد إذا قال أعوذ بالله لجأ إلى الله واستجار به وتبرّأ من حوله وقوّته وترك كلّ شيء وراءه.

فالاستعاذة لا تكون إلاّ بالله تبارك وتعالى وبهذه الأسماء والصّفات التي خصّ الله تبارك وتعالى بها نفسَه. لا تستعيذوا بغير الله وكما جاء في حديث خولة بنت حكيم في صحيح مسلم أنّ النّبيّ عليه الصلاو والسّلام قال: {من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التّامّات من شر ما خلق لم يضرّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك}.

❖تفسير قوله تعالى:﴿ قل أعوذ بربّ الفلق﴾

قل: قول قلب وقول لسان.

أعوذ: ألجأ وأستجير .

بربّ الفلق: أي بخالق الفلق وهو الصبح عند انشقاقه.

❖الإستغاثة

-الاستغاثة:هي طلب الغوث فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، وهي عبادة صرفها لغير الله تبارك وتعالى شرك به ،وتنديد به ،قال تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربَّكم فاستجاب لكم﴾.

-و السِّينَ والتّاء الدّاخلة على الأفعال تدلّ على الطلب.

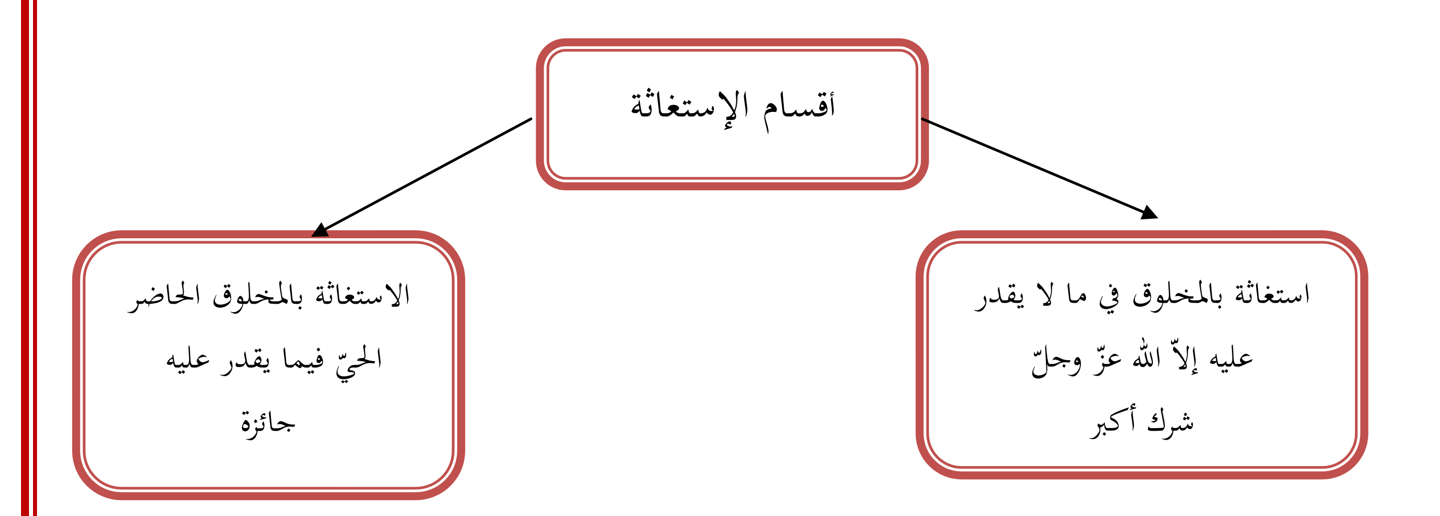
-الاستغاثة نوعٌ من الدّعاء إلاّ أنّها أخصّ من الدّعاء لأنّ فيها رغَب، لأنّ فيها رهبة وفيها لهَف وشدّة. فقد جاء في الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبي عليه الصّلاة

والسّلام قال: {من سرّه أن يستجيب الله له في الشدائد فليُكثر من الدّعاء في الرّخاء} وهو حديث حسن.

❖أنواع الإستغاثة

الاستغاثة نوعان:

- استغاثة بالمخلوق في ما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ وهذه شرك أكبر وخروج عن الإسلام . فمن استغاث بميّت غير حي أو غائب غير حاضر أو عاجز غير قادر فقد استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله.
- الاستغاثة بالمخلوق الحاضر الحيّ فيما يقدر عليه هذه جائزة واحتجّ لها العلماء بقوله تعالى:﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه﴾[القصص:١٥]. هذا دلّ على أنّ الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر القادر على ما استُغيث به فيه أنّها جائزة.



❖معنى ((لعن الله من ذبح لغير الله))

اللعن في الاصطلاح الشرعي هو الطرد من رحمة الله.

وفي هذا الموضع ونظائره فيه وجهان:

☒خبر أُريد بها الدّعاء يعني :اللهمّ العن من ذبح لغير الله .

☒خبر على ظاهره بمعنى أنّه يخبر عن تحقّق حال من ذبح لغير الله وأنّه مطرود من رحمة الله تبارك وتعالى.

❖الذبح له أنواع كثيرة والجامع لهذا أنّ من ذبح لغير الله تعظيما له فإنّ ذبحه لغير الله تبارك وتعالى شرك به، فالله جلّ وعلا قال في كتابه: ﴿ فصلّ لربّك وانحر ﴾ [الكوثر:٣]. وهنا قال: ﴿ قل إنّ صلاتي ونسكي﴾ فقرن بين الصلاة والنّحر ليبيّن أنّك كما أنّك لا تصلّي إلاّ لله فلا تذبح إلاّ لله. وكم من الذبائح أو من أنواع الذّبح التي تُذبح للجنّ والشياطين وصُوَرُها كثيرة جدّا عند أهل الجاهليّة ومن سار على طريقتهم.

❖النّذر

النّذر :هو في أصل اللّغة :النحر ،ومعناه إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يُلزَم به بأصل الشرع يعني أنّه أوْجَب على نفسه عبادة لم تجب عليه بأصل الشرع.

حكمه:

-كثير من العلماء يقول أنّ الأصل في النّذر أنّه مكروه أو محرّم ولكن هذه الإطلاق فيه نظر .

-والصّواب أنّ الذي نُهِيَ عنه إنّما هو نذر المجازاة والمعاوضة بمعنى أن الإنسان ينذُر نذرا يقيّده بشرط فيقول: إن شفى اللّهُ مريضي أو ردّ غائبي أو وُفّقت في هذه العمل فلله عليّ كذا وكذا.. هذا هو نذر المجازاة وهو المنهيُّ عنه. ولهذا إذا تأمّلت في الأحاديث التي جاءت في النّهي عن النّذر رأيتها من هذه الجنس.

-أمّا إذا نذر الإنسان نذرا مطلقا متبرّرا به لا يقصد به مجازاة على شيء فهذا محمود وعليه جاءت الآيات:﴿ يُوفون بالنّذر ويخافون يوما كان شرُّه مستطيرا﴾.

وفي الحالين، إذا نذَر العبدُ وجب عليه الوفاء بالمنذور.

❖ شيخ الإسلام المجدد رحمه الله ذكر لنا هنا أنواعا من العبادة المتفرّقة القولية العملية القلبية من أجل أن نقيس عليها غيرها. فكلّ عبادة أمر الله تبارك وتعالى بها وفرضها على عباده فإنّ صرفَها لغير الله جلّ وعلا شرك وصرفَها لغير الله تبارك وتعالى خروج عن الإسلام الذي أمر الله تبارك وتعالى به.

❖الفرق بين التوكل و الإستعانة

-التوكّل :من أعمال القلب المحضة الصِّرفة التي لا مدخل للأعمال فيها ولهذا الشيخ محمد بن إبراهيم عليه رحمة الله في فتاويه يقول بأنّه لا يجوز أن يقول المسلم توكّلت على الله ثمّ عليك وسُئل شيخُنا الفوزان مرارا عن هذه الكلمة فقال: لا يجوز قولها .

-أمّا الاستعانة فهي أيضا من أعمال القلوب إلاّ أنّ لها تعلّقا بالأمر الخارجي بطلب العون على شيء معلوم أو ما أشبه ذلك.

-وشيخ الإسلام رحمه الله تعالى يذكر فرقا دقيقا بين التوكّل والاستعانة وهو أن التوكل أعمّ من الاستعانة .

❖التمنّي أعمّ والرّجاء أخصّ، يتمنّى الإنسان الشيء ولكن إذا طمِع فيه وتلهّفت إليه نفسُه سُمّيَ ذلك رجاءً.